الخطب المنبرية

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

(حفظه الله تعالى)

خطبة الجمعة بعنوان

أخلاقك إيمانك

بتاريخ/ ٢٣ ذو الحجة ١٤٤٣ هـ ٢٢ - ٧ - ٢٠٢٢م

خطبة الجمعة

((أخلاقك إيمانك))

الحمد لله حمد الذاكرين وأثني عليه وأشكره شكر الشاكرين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين وأشهد أن محدً عبده ورسوله أرسله ربه بالهدىٰ ودين الحق داعيًا إلىٰ الأخلاق العظيمة فاق الورىٰ خلقًا وخُلُقا فصل الله وسلم عليه وعلىٰ آله وصحبه ومن سار علىٰ نهجه وأقتفىٰ أثره إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

أوصيكم ونفسي بتقوىٰ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أيها المسلمون:

ما هو الميزان الذي به تعرف إيمانك؟ قدره، وحسنه، إن هذه الشريعة الغراء قد وضعت عدة موازين لمعرفة الإيمان بين جنبيك ومن هذه الموازين العظيمة أخلاقك إيمانك إذا أردت أن تعرف إيمانك فانظر إلىٰ أخلاقك إن الأخلاق هي الصورة العملية للإيمان فلا يكمل الإيمان إلا بها ولا تثمر العبادة إلا بولوج أبوابها وقد أثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ نبيه ﷺ بالخلق العظيم والأدب الكريم فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم: ٤]

لأنه ﷺ كان خُلُقه القرآن أي يطبق القرآن عمليًا في تعامله مع ربه وتعامله مع العباد وتعامله مع النفس وقد أخبر ﷺ أن الرسالة كلها الشريعة الغراء بجملتها ما جاءت إلا لإتمام الأخلاق ففي حديثٍ رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق" [أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني]

وفي رواية للحاكم وصححها ووافقه الذهبي: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

عباد الله:

إن الأخلاق الحسنة هي ثمرة العقيدة القويمة والعبادة المستقيمة فمن كان صاحب عقيدةٍ صحيحة فخلقه صحيح ومن كان صاحب عبادةٍ صحيحة كان خُلُقه قويما وإلا فترىٰ الاعوجاج في الأخلاق بسبب ضعف الإيمان أو عدم صحته وبسبب ضعف الأعمال أو عدم صحتها فكان من الأهمية بمكان أن نهتم بصحة العقيدة أولا وبصحة العبادة ثانيا لندرك أن قوام الأخلاق عليهما وقد جاء في الحديث ما يدل علىٰ اقتران الأخلاق والإيمان معًا في أحاديث متعددة كقول النبي ﷺ في حديث ابن عمر: الحياء والإيمان قُرنا جميعًا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر" [أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي]

وفي حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: ما شيءٌ أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُقٍ حسن وإن الله ليبغض الفاحش البذيء" [أخرجه الترمذي وصححه]

ومن تأمل القرآن وقرأ آياته بتدبرٍ وإيمان علم سبب اقتران الأعمال بالإيمان.

﴿ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [الطلاق: ٢]

ما وجه هذا الاقتران في القرآن وفي الأحاديث؟ لأن الإيمان والأخلاق قرينان وهما متلازمان وقد قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما خطبنا النبي ﷺ إلا قال لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له" [أخرجه أحمد وصححه الألباني]

فتأملوا يا رعاكم الله القوة الوثيقة والصلة العميقة بين الأخلاق وبين الإيمان وأكد النبي ﷺ نفي الإيمان عمن لا يأمن جاره شروره وأضراره ففي حديث أبي شُريحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل: من يا رسول؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه" [أخرجه البخاري]

عباد الله:

الأخلاق الحسنة من الإيمان عملًا وتركا فعلًا وكفا وقد عُدَّ الكف عما لا يعني نطق اللسان وعُدَّ إكرام الضيف من صفات أهل الإيمان كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت" [أخرجه الشيخان]

معاشر المؤمنين:

إن المُتأمل في شرائع الإسلام، بل وأساسياته وأبنيته لا يدرك أن الله ما شرع الصلاة إلا للأخلاق الحسنة فقد قال الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

وفرض الله الزكاة لأجل مراعاة حال الفقراء وتزكيةً للنفوس ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]

وفرض الله الصوم لتحصيل التقوىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣]

وجاء في الحديث ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من اللغو والرفث" [أخرجه ابن خزيمة والبيهقي وصححه الألباني]

بل الحج الذي هو خامس أركان الإسلام وأظهر مبانيه اجتماعًا ميدان فسيح للشعائر العظيمة والأخلاق الرفيعة رحلةٌ إيمانية للتغلب علىٰ الأخلاق الوضيعة كما قال ربنا: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: ١٩٧]

أيها المؤمنون:

إن أصدق الناس في الأخلاق من راع حسن التعامل مع الله بفعل الواجبات وترك المحرمات ثم أحسن إلىٰ نفسه بفعل المليح وترك القبيح والنأي بها عن مواطن الإفلاس وموارد الهلكات وعامل الناس بطلاقة الوجه وبذل الندىٰ وكف الأذىٰ

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ: اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلقٍ حسن" [أخرجه أحمد والترمذي وصححه]

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جل في علاه وأشهد أن محمد عبده ورسوله ومصطفاه صل الله وسلم عليه وعلىٰ آله وصحبه إلىٰ يوم نلقاه.

أما بعد:

فاتقوا الله الذي خلقكم واستعينوا علىٰ طاعته بما رزقكم ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣]

أخوة الإيمان:

لابد أن ندرك أن الأخلاق الحسنة سبب للفوز والنجاة من المهلكات في الدنيا قبل الآخرة وأن الأخلاق السيئة سبب للوقوع في الضلالات والمهلكات في الدنيا قبل الآخرة

قد أخبر النبي ﷺ أن الله غفر لرجلٍ سقىٰ كلبًا من العطش ولامرأة بغيٍ نزلت بئرًا فنزعت خفها فأخرجت به الماء لكلبٍ فسقته فشكر الله لها فغفر لها.

وقد أخبر ﷺ أن امرأة دخلت النار في هرةٍ حبستها دون طعامٍ ولا شراب حتىٰ ماتت.

وأخبر ﷺ أن مجرد العبادة دون مراعاةٍ للحقوق ولا اكتراثٍ بالأخلاق لا يجدي نفعا

فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجلٌ: يا رسول الله إن فلانً يذكر إن فلانه يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها قال: هي في النار قال: يا رسول الله

فإن فلانه يذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها وإنها تصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها بلسانها قال: هي في الجنة" [أخرجه أحمد وابن حبان وصححه الألباني]

فإياك ثم إياك أن تضيع جانب الأخلاق النفيس فتكون يوم القيامة عياذًا بالله من المفاليس

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فيا من لا درهم [جيبه خالي] المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ﷺ: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطىٰ هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضىٰ ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار" [أخرجه مسلم]

عباد الله:

تخلقوا بما أمركم الله به من الأخلاق الحسنة معه فاعبدوه حق العبادة ومع الناس فألينوا الكلام وأحسنوا الكلام تدخلوا الجنة بسلام.

اللهم أهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت وأصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة اللهم إنا نسألك أن تعيننا علىٰ طاعتك وذكرك وشكر عبادتك يا رب العالمين اللهم ارفع عنا الوباء والبلاء اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ودنيانا التي فيها معاشنا وآخرتنا التي إليها معادنا اللهم أجعل هذا البلد أمنًا مطمئنًا رخاءً سخاءً وسائر بلاد المسلمين.